مقالات "علمتني الحياة"

اللّؤلؤة أم الوردة؟

قال الله تعالى : يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا. سورة الأحزاب رقم الآية 59

وردة تسمح أن ترمى، و لؤلؤة تأبى أن تنسى، فاختاري أنت يا أختاه من تكوني؟ إما الوردة الرائعة في الجمال، الشذيّة في الرائحة، وبني البشر لا يزرعونها حبا لها أو فيها، بل للتمتع بمنظرها و استنشاق عطرها، ثم يلقى بها على قارعة الطريق، بعد أخذ ما تملك من أريج نقي عبق. أم اللؤلؤة التي هي غالية في نظر البشر، يقومون بالمستحيل للحصول عليها، يشدّون الرحال و يخوضون البحار، و يغوصون الأعماق للبحث عنها، فكلما ابتعدت عن عيونهم ازدادت جمالا و لمعانا، تقطن في صدفة و تقبع في ظلمات البحار، إلا أنها بعيدة عن الأيادي العابثة.

المتبرجة:يا أختاه..انتظرت لقاءك ذا، لأحدثكِ لماذا،تمسكت بهذا؟...

المتحجبة:أتعنين حجابي؟ فمهما تقولين عنه لا و ربي لن أبالي

المتبرجة:لباسك يعني رمز التخلف، و حياؤك و عفتك أعاداك للخلف، ألم تدركي بعد منذ ارتديت الحجاب ثني شبابك، و خانك السعد، فعودي حرّة كالسحابة، فانزعيه لتكوني كسابق عهدك جميلة فاتنة رائعة أنيقة....

المتحجبة:ولكن كيف أنزعه؟..كيف لي أن أزيل ذا الحجاب الأصيل، فلن

أميط غطائي هذا رغم مرّ الجفاء، لأنني رمز النقاء...فأنت يا أختاه بدل من أن ترغميني على نزع الخمار لما لا ترتدي الحجاب؟...فلِما كل هذا؟؟؟ أتعلمي أنك تعصي الإله؟..مساحيق و عطور اِسْتُنشِقت من قبل الملايين الملايين، ألبسة ضيقة لم تغضّ الأبصار عنها، وأنت دون علم أن خيوط ذنوبك في الغيب تنسج...

المتبرجة:لا يهمني ماذا تقولين...المهم أنني الأجمل دون خمار يُخفي شعري، أو رداء فضفاض لن يبرز مفاتن جسدي، ألا يغرّك كل هذا؟...

المتحجبة:مهما أكثرت من عتابي فاعلمي أن همتي كالجبال، فأي معنى للجمال، إن غدوت لك سهل المنال....

المتبرجة:آه يا أسفي عليك...ستصبحين منسية، كأنك غير مرئية، ولن يلتفت الشباب إليك أبدا...

المتحجبة:أهذا هو همكن الوحيد؟ نظرة الشباب إليكن؟ لن أهتم حتى لو جاءوني بالورود، ناصحين ذو وعود و يقال لي ربة الحسن عودي للهنى و السعود، لن أرض و سأبقى صاحبة الصمود، و لن اسأل حتى نفسي :هل أزيل الخمار الودود؟..

المتبرجة:من أين لك كل هذا؟ مهما حاولتُ إبعادك عن الصراط المستقيم زدتِ تقربا إلى الله تعالى..

المتحجبة:لأني صحت فيكِ أن دعيني، وسرت على التقوى و الضياء خلف خير الأنبياء، فهذا هو الجمال، جمال الأدب و الأخلاق...

المتبرجة:فما دمتِ متمسكة بالحجاب، سألقي عليك باقتراح:أن تنزعي الحجاب في الحفلات و سهرات ليالي الزفاف، لتبدين حسناء جميلة أنيقة لافتة للأنظار...

المتحجبة:ويحك ماذا تقولين؟ أأنزع حجابي من أجل تفاهة ساذجة؟ سنين و انأ على دربي و في لحظة أقصي حجابي، بعد سفق المتاب، فكيف أعصي الهي، ظل عني الجواب...

المتبرجة:ألن تملي بعد؟ ألا تختنقي بحرارة الصيف، ألا تسعدي للذهاب للبحر، دون هذا النكر..

المتحجبة:أتقولين عنه نكر؟ و أسفاه على هذا الحديث، فيا أختاه لكل امرئ

سبيل، و قبل أن يختاره، يختره له الله، وأنا سأدلك للهداية، لعل و عسى تتوبين توبة نصوحة، فلتأسفي على ما مرّ من حياتك، وأنت بين ذكريات لهو و مرح، فاعلمي يا أختاه، نحن في الحياة كعابر سبيل، و سنترك ورائنا كل أثر جميل، وما نحن في الدنيا إلا ضيوف، و ما على الضيف إلا الرحيل...

المتبرجة:إني أدرك كل هذا، لكن إن وجدت من يريه مدّ يد العون لي لربما أنجو من الغرق في بحر الذنوب وأنجو من العذاب و العتاب...

المتحجبة:مهما حاولتِ من خداعي و دعوتي للفسوق، و التبرّج، سأكون لك عونا وسندا للتخلي عن هذه الخصال، إلى أن ترتدي الحجاب..

المتبرجة:شكرا لك يا أختاه، سامحيني على ما بَدَر مني ،فأنا أعرف أن أكثر الفتيات الكاسيات العاريات هن في النار لا محال، وأعدك أن أكون من أنصار النبي عليه الصلاة و السلام و سأمتثل لأمر الله، ولن أعود لهذا الدرب إلى أن ألقى ربي بالعطاء و الحبّ..

المتحجبة:باختيارك هذا أدركتُ أنك فضلت اللؤلؤة عن الوردة، فأختاه ارضي ربي و خافِ، دربنا درب العفاف، فاسلكيه لا تخاف، فبحجابك و احتشامك ستفرضي احترامك، وكوني على يقين: أن من يعش في الهداية لن يملّ الغواية، وليثبت الله فؤادك و ليمحو عنك الخطايا، إن أردت السعادة و العلى و الريادة، أقيمي شرع ربي فهو خير دليلك،و لتتمي في العبادة، ومهما اختلفت الآراء عنك فلتعلمي:أن حجابك انتصار...واستسلامك انكسار.

نجاة مختاري